10me Année No. 493

Lundi - 14- 12 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

التلبـــانى

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... نطالع كتابكم الكبير عبقرية عمر الذى تجلت فيه عبقريتكم الفريدة ... ونرجو منكم خدمة للعلم التكرم بشرح التلبانى على صفحات مجلة الرسالة الغراء ... »

(سنهور المدينة) محمد السيد على بدر

والإشارة إلى التلباني في كتاب « عبقرية عمر » قد جاءت في سياق الكلام على قصة سارية حيث روينا أنه « كان رضى الله عنه يخطب بالمدينة خطبة الجمعة فالتفت من الخطبة ونادى : يا سارية بن حصن ... الجبل الجبل ! ومن استرعى الذئب ظلم

« فلم يفهم السامعون مراده ، وقضى صلاته فسأله علىّ رضى الله عنه : ما هذا الذى ناديت به ؟ قال : أو سمعته ؟ قال : نعم ، أنا وكل من في المسجد . فقال : وقع في خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا . نخرج منى هذا الكلام »

وإنه « جاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول : يا سارية بن حصن ! الجبل الجبل . فعدلنا إليه ففتح الله علينا »

ثم عقبنا على القصة قائلين : « إن المهم من نقل هذه القصة

فى هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو الظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد »

وهذه — كما هو ظاهر — حالة من حالات التلپاثى التى يسأل عنها الأديب صاحب الكتاب الذى اقتبسنا منه ما تقدم .

ونحن نترجم التلپاثى بالشعور عن بعد، أو « بالنظر البعيد» إذا أردنا تعميم النظر حتى يشمل الرؤية والكاشفة ، أو يشمل الـ Vision فى اصطلاح بعض العلماء النفسانيين

وهى حالة متكررة يحسها كثيرون ويسجل وقائعها أناس من المتدينين وغير المتدينين . وأشهر القائلين بها فى عصرنا كاتب أمريكى ملحد هو أبتون سنكلير Upton Sinclair يقيم التجارب التى تثبت النظر على البعد أو الشعور على البعد ، ويسجل فيها سجل تجاربه مع زوجته حيث كانا يجلسان فى مدينتين بعيدتين ويحيط بكل منهما شهود كثيرون منهم المنكرون ومنهم المصدقون ، فيطلب إليه بعضهم أن يرسم شكلاً هندسياً وأن يوجه شعوره إلى امرأته لترسم مثله فى تلك اللحظة ، ويطوى الرسمان حتى يعلنا بعد ذلك فيتفق فى كثير من الأحوال أن يتشابها فى الخطوط ، وإن اختلفا فى الأبعاد كما يختلف المثلث الكبير والمثلث الصغير مع اتفاق الزوايا والنسب الهندسية

هذه التجارب يقول بها ويسجلها ويعلنها فى الكتب السيارة رجل قلنا إنه ملحد لنقول إنه لا يقصد من كلامه تبشيراً بعقيدة أو خدمة لمذهب اجتماعى ، لأن مذهبه الاجتماعى يقوم على « الفهم المادى » للتاريخ ولا يحوجه إلى التبشير بهذه الهبات النفسية ، بل لعله ينفره منها ويحبب إليه السكوت عنها

واعتقادنا فى « التلپاثى » أنه هبة نفسية جائزة لا تناقض العقل ولا يمنعها العلم بدليل

لأنها تستند إلى الحس ، ولا فرق بينها وبين هبات الحس التى نباشرها كل يوم إلا فى طول المسافة ، وهو فرق اعتبارى غير قاطع بين حالة وحالة . إذ من ذا الذى يستطيع أن يقول إن الحس ينتهى عند هذه المسافة ولا يجوز عقلاً أن يتعداها ويذهب إلى ما وراءها !

إننا نرى كل يوم فى العصر الحاضر أن صوتاً يصدر من أمريكا أو اليابان ويسمع فى مصر كما يسمع فيها حديث الجلساء . ولولا المذياع لعددنا من يزعم هذا الزعم مخرفاً يعبث بعقول سامعيه

فإذا جاز سماع الصوت على هذه المسافات الشاسعة بجهاز من الأجهزة المصنوعة فلماذا يمتنع على قوى الذهن أو قوى الشعور أن تحس على هذه المسافة أو تتصل بنفس أخرى وذهن آخر متى تهيأت لها أسباب اتصال ؟

فالتصديق بالتلپاثى لا يدعونا إلى اختراع حس جديد أو ملكة غيبية من وراء الطبيعة ، ولكنه يدعونا إلى تصديق هذا الحس الذى نباشره كل يوم فى مختلف شئون الحياة ، مع السماح له بالامتداد والتكبير ، وهما غير ممنوعين ولا مناقضين للمعقول أو المشهود

والحس نفسه لا يقل فى غرابته عن « التلپاثى » كما يقول بها أشد الغلاة المؤمنين بها من النفسانيين

فأنت تفتح عينك فترى

شىء بسيط جداً فى حسابنا ، بل هو أبسط شىء يخطر على بالنا . . . افتح عينك تر ! . . . أى شىء أبسط من ذلك وأبعد من الغرابة ؟

نعم هو كذلك لأننا نعالجه ونرى الألوف ممن يعالجونه كل لحظة ، ولا يخطر لنا أننا نأتى بشىء غريب

ولكننا إذا رجعنا إلى أنفسنا فسألناها : ما هى الرؤية ؟ وما هو معنى القوة العجيبة التى تحيط بشىء على مسافة منك وتعرف ما لونه وما شكله وما أثره وما حركاته وسكناته ، ولا صلة بينك وبينه إلا الضياء ؟

نسأل أنفسنا فى هذا ونفكر ملياً فى معناه فنستغرب النظر من قريب كما نستغرب النظر من بعيد ، ونعلم أن معجزة الحس حاصلة قبل أن نسمع بالتلپاثى والتليفزيون وما إليهما من وسائل الإحساس

وما قربنا المسألة حين نقول إننا ننقل الأشياء إلى حسنا بالنظر لأن بيننا وبينها الضياء

إذ ما هو الضياء ؟

ولماذا يكون حتماً لزاماً متى وجد الضياء أن يكون هناك نظر وأن يكون النظر على نحو ما وعيناه ؟

فالتلبانى غريبة جداً عند من تنسيه الألفة اليومية غرابة النظر والسمع والذوق وسائر المحسوسات

والتلبانى جائزة جدا عند من علم أن النظر جائز ثم سأل نفسه في معنى هذا الجواز

وأحسب أن الكثيرين من القراء قد جربوا هبة التلبانى كما جربتها ووقفوا منها على مبادئ تدل على نهايتها القصوى ، إن لم يكتب لهم أن يملكوا هذه الهبة على أقصاها

فإنني لا أقول بجواز التلبانى معتمداً على العقل والقياس دون التجربة والمشاهدة ، ولكنني أقول بذلك لأنني « جربت » بعض الوقائع التي تقربني من تصديق « التلبانى » وتنفي الغرابة عنه أو تنفي استحالته على أيسر تقدير

يحدث مرات أن أذكر إنساناً بعد سهو طويل عنه فإذا هو ماثل أمامى فى اللحظة التى ذكرته فيها

ولو كان هذا الإنسان صاحبها يراودنى التفكير فيه حيناً بعد حين لقلت الغرابة فى تذكره ولو بعد السهو الطويل

ولو كان المكان الذى ذكرته فيه متصلاً بإقامته أو بالمقابلات بينى وبينه لقلت الغرابة كذلك فى إثارة ذلك المكان لذكراه

ولكنه لا يكون أحياناً ممن طالت الصحبة بينى وبينه ، ولا يكون الموضع الذى أذكرنى به موضعاً تقابلنا فيه قبل ذلك أو تحدثنا به يوماً من الأيام . وكل ما هنالك أنه إنسان جمعت بينى وبينه المصادفات فترة من الزمن ثم انطوت عنى أخباره سنوات لا أراه ولا يعرض لى ما يدعونى أن أشتاق إلى رؤيته ، ثم يمر بخاطرى فما هو إلا أن أثبته وأستعيد ذكره حتى أراه فى عرض الطريق

ويحدث مرات أن يتولانى انقباض شديد تتخلله صورة إنسان عزيز يكربنى جداً أن يصاب بمكروه ، ويلج بى هذا الانقباض حتى كأنما الذى أخشاه قد وقع أو هو مرقوب الوقوع . فأبادر بالكتابة من طريق البرق أو البريد ، ويحدث فى هذه الحالة أن يجيئنى خطاب قبل وصول سؤالى إلى وجهته يدعو إلى الطمأنينة ، أو يرد إلىّ الجواب بعد قليل وفيه إشارة إلى خطر زال

وأحسب أن هذه العوارض أشيع من أن تحصى فى عداد النوادر والفلتات ، فقد سمعت ما يشبهها من بعض الأصدقاء المصدقين . وقد أخبرنى بعضهم بقلقه على غائب يعزه وهو لا يعرف سبباً واضحاً للقلق الذى يساوره حتى فاجأ فيه غيره . ثم تبين أنه لم يقلق يومئذ بغير داع معقول

إلا أن النوادر والفلتات فى التلبانى هى العوارض التى تشبه قصة سارية فيما روى عن عمر بن الخطاب

فالذين يشعرون على البعد بمثل هذه القوة والوضوح قليلون ، ولكن المسألة — بعد — مسألة فرق فى القوة والوضوح ، وليست بفرق فى أساس الشعور يماثل الفرق بين من يبصر ولا يبصر ، وبين من يسمع ومن ليست له أذن للسمع ، وبين من يحس ومن ليست له قابلية للاحساس

فالشعور على البعد كالشعور على القرب جائزان ، ووسيلة الشعور على البعد ليست بأصعب من وسيلة الشعور على القرب بالعيون والآذان ، وإن كنا لا نستغرب هذه كما نستغرب تلك لطول الألفة وتكرار المشاهدة بين جميع الأحياء

وحد التصديق عندى لهذه العوارض هو وجود الأساس الذى تعتمد عليه

فإذا كان كل ما فى الأمر أنه تكبير للحس الذى تعودناه أو مضاعفة له وتقريب لأبعاده ومسافاته فلا مانع من صدقه ، وإذا كان فى الدعوى ما يحوجنا إلى فروض لا أساس لها من المشاهدات والمعقولات فهنالك موضع للتردد والاشتباه

وعلى هذا أقبل دعوى التنويم المغناطيسى — مثلاً — إذا ادعى للنائم أنه يبصر شيئاً موجوداً على مسافات بعيدة ، ولكنى لا أقبل منه هذه الدعوى إذا تعدى ذلك بما سيكون بعد عام أو بعد شهر أو بعد يوم ، وليس له وجود قائم الآن

وكذلك أقبل دعوى الشعور البعيد أو النظر البعيد إذا كان بمثابة السمع المضاعف أو البصر المضاعف ، لأن امتناع ذلك يحتاج إلى مانع قاطع ولا سبيل إلى القطع فيه ، ولأن القول بجوازه لا يتعدى كثيراً أن تقول بجواز رؤية العيون وسماع الآذان

وينبغى للعقل أن يتمهل فى قول « لا » كما يتمهل فى قول « نعم » كلما سمع بما يشككه ولا يوافق معهوده ، فإن العقل ليكون خرافياً بقول « لا » فى غير موضعها كما يكون خرافياً

راية الروحية الأدبية

للدكتور زكى مبارك

فيما كتب الأستاذ الزيات والدكتور عزام عن « البلايا التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر » تذكيرٌ بغضبات ابن قتيبة فى القرن الثالث ، والجرجانى فى القرن الخامس . وقد جاء هذا التذكير فى الوقت المطلوب ، جاء بعد انجراف قد يزعزع مركز مصر الأدبى فى الشرق ، إن لم تسنده الأقلام المصرية بأسندة متينة من الحق والصدق واليقين

وأقول من جديد إنه لا حياة للأدب فى مصر إن لم تكن لأهله عقيدة أدبية ، عقيدة يرحّب صاحبها بجميع المتاعب فى سبيل الأدب الصحيح ، ولا يبالى أين يكون مصرعه ما دام على وفاق مع ملائكة الفكر وشياطين البيان

والعقيدة الأدبية توجب أن نكون صادقين فيما نكتب وفيما نقول ، بحيث يطمئنّ القراء إلينا كل الاطمئنان ، وبحيث لا تخفى عليهم خافية من سرائرنا الفكرية ، ولو جنحنا فى التعبير إلى الرموز والتلاميح

القارئُ صديق — وإن لم يتعرف إلينا بصورة شخصية — وللصديق حقوقٌ أهمُّها اطّراح الرياء ، فمن العبث أن يخطب قومٌ وداد القارئ وهم لا يلقونه إلا مرائين

والأصل فى الأدب أنه تعبيرٌ طريف عن أغراض الحياة والأحياء . وإنما قلت « تعبير طريف » لأبدد الشبهة التى تقول بأن الأدب هو تصوير المشاعر والعواطف بالصدق الذى يماثل صدق الصورة الشمسية ، فالقارئُ لا يفرح بأن الكاتب حدثه عما يجول فى صدره بالحرف ، وإنما يسره ويبهره أن يجد فى تلك الصورة ألواناً لم يلتفت إلى مثلها من قبل ، على شرط أن لا يزيغه التلوين عن الصدق ، وعلى شرط أن يكون الجانب الطريف أظهر الجوانب فى الأداء

فأين نحن من هذه المعانى فى هذا الزمان ؟

من المحقق أن الأدب عندنا فى ازدهار ، ولكنى مع ذلك أعانى ضروباً من التخوف . فالجماهير فى مصر لم تشعر إلى اليوم بأن الأدب صار قوتاً لا تطيب بدونه الحياة . ولم نسمع أن الجماهير مستعدة للمساعدة على نشر كتاب يعجز عن نشره أحد كبار المؤلفين . ولم نسمع أن كتاباً أعيد طبعه عشرين مرة فى أشهر معدودات ، كما يقع ذلك فى بعض الممالك التى تعانى شهوات العقول

فما أسباب هذا الجمود ؟

أخشى أن أقول إننا لم نصر كتّاباً ولا مؤلفين بالمعنى الصحيح للكتابة والتأليف

أخشى أن أقول إننا عجزنا عن خلق الجاذبية الأدبية ، وسيحكم علينا التاريخ بما لا نريد ، فسيقول أقوامٌ إن مصر عانت زمناً لم يعرف أدباؤه كيف يرفعون البراقع عن الأقلام ، ولم يفكروا فى رفع الأمية الفكرية عن عقول القراء

أعوذ بالله من بعض ما أرى وبعض ما أقرأ وبعض ما أسمع !

وبالله أستعيذ من زمن تضعف فيه الأبوّة الروحية ، أبوّة الباحثين والمفكرين !

ومع هذا فالأمة المصرية هى هى لم تتغير ولم تتبدل ، الأمة التى تستمع كل قول ، وتستجيب لكل نداء ، ولم يفتُر نشاطها الذهنى فى أى وقت ، ولكن أين من ينتفع بالحيوية المكنونة فى ضمير الأمة المصرية ؟

انتفع السياسيون من أمثال : مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ، لأنهم جاهدوا وناضلوا وكافحوا ، ولأنهم جددوا

بقول « نعم » فى غير موضعها ؛ وإنما هذه خرافة تثبت بالباطل وتلك خرافة تنفى بالباطل ، ولا فرق فى الباطل بين نفى وإثبات

الشعور على البعد جائز ما جازت الصلة بين الإنسان وموضوع شعوره ، وقد رأينا أن هذه الصلة لا تنقطع فى طريق صوت كالهمس على مسافات الألوف من الفراسخ والأميال ، فقبل أن ننفى الصلة بين نفسين ينبغى أن نتمهل طويلاً حتى نوقن من وجه الاستحالة والامتناع ؛ ولن يكون هذا اليقين إلا ببرهان قاطع . والقول بهذا البرهان القاطع قبل أن يوجد ويتقرر هو أجرأ على العلم والعقل من التصديق بغير برهان اعتماداً على المروى والمشاع .

عباس محمود العقاد

أهدافهم تحديداً لا يتطرق إليه الارتياب ، ثم رحبوا بجميع المتاعب فى سبيل تلك الأهداف

فماذا صنع الأدباء ليسيطروا بالقوة الروحية ، كما سيطر أولئك بالقوة السياسية ؟

قد يقال إن الوطنية وَتَرٌ حسّاس ، فهى السرّ فى نجاح أولئك الرجال

وأقول إن النزعة الإنسانية أقدم وأعمق من النزعة الوطنية ، فلو جاهد الأدباء جهاد الصدق لكان لهم فى أممهم تأثيرٌ لا يصل إليه كبار الوطنيين ، ولكان من السهل أن تكون مبادئهم شرائع يعتصم بها السياسيون

وأعجب العجب أن يكون فى الأدباء من يطلبون الاستقلال لأممهم ولا يطلبونه لأنفسهم ، كالأدباء الذين يعيشون تحت وصاية الأحزاب السياسية راضين وادعين ناعمين ، كأنهم ظفروا بكنوز قارون ، وكأن آلهة الفن هى التى ألهمتهم ذلك المذهب من مذاهب المعاش ، مع أن القلم أكبر وأعظم وأشرف من أن يتشوف صاحبه إلى الاستظلال بظلال الأحزاب

لا عيب فى أن يكون للأديب حزب ينتمى إليه إذا اقتنع بالتحزب فى سبيل القومية . ولا عيب فى أن تكون للأديب مطامع سياسية ، ولكن العيب كل العيب أن يكون الأدباء ذيولاً تجرجرهم التقلبات الحزبية ، وتدوسهم سنابك الأهواء

إن جهاد مصر الأدبى لا يقل عن جهادها السياسى ، فقد استطاع فريق من أدباء مصر أن يرفعوا اسم وطنهم فى الشرق ، ولكنهم مع الأسف عجزوا عن رفع اسم الأدب فى وطنهم ، لأنهم غفلوا عن واجب المصابرة تحت الراية الأدبية ، واكتفوا بالتغنى تحت الراية الوطنية

ألم أقل لكم إن الأديب ليس أجيراً للوطن ولا أسيراً للمجتمع ؟

وما قيمة الوطن إن لم يفرح بأن ينبغ فيه المفترعون لأبكار المعانى ؟

فى القسم المصرى بمتحف اللوفر فى باريس تمثالان ناطقان : تمثال الفلاح المتربع تحت الشمس وهو يتذوّق السكون والخمود ، وتمثال الكاتب المتربع وهو مهمومٌ يستعد للانشاء . وتلك صورة مصر فى القديم والحديث ، فمن أبنائها من يفرح بالنعيم البليد ، ومن أبنائها من يفرح بالشقاء السعيد . والأشقياء بالمعانى هم السعداء ، يوم يوضع للسعادة تعريفٌ صحيح

ألم يأن للأدباء أن يعرفوا واجبهم نحو الأدب ؟

ألم يأن للزمن أن يسمح بأن تقوم فى مصر دولة أدبية لا تعرف غير الصدق فى البيان عن أوهام الأهواء وأحلام القلوب وأوطار العقول ؟

أمن المستحيل أن يقول أديبٌ « أنا » فى هذه البلاد ؟

ألا يوجد فينا من يتوكل على الله وحده ليملك الغنى عن الناس فيكتب ما يكتب ويقول ما يقول فى صراحة وإخلاص ؟

عذرت من عاشوا فى زمان الظلم ، فما عذر من يعيشون فى هذا الزمان ؟

إن حرية التفكير مكفولة للجميع ، على شرط السلامة الفكرية ، فما الذى يوجب أن يكون الأديب إمّعة لا ينطق أو يصمت إلا وفقاً لبعض الوحيات الأجنبية عن جو العقل والروح ؟

وما الموجب لأن يتفاضل الأدباء بالقدرة على الرياء ، وهو سناد المهازيل ، وعماد المااليل ، ودعام المناخيب ؟

لقد وُضع الورق فى التسعيرة الجبرية قبل أن يوضع الفول ، ومع هذا لا يفهم ناس أن قوت العقول يسبق قوت البطون !

إن الأدب الكاذب ينفع ، فكيف يضرّ الأدب الصادق ؟ والأدباء المستعبَدون يُفلحون ، فكيف يخيب الأدباء المستقلون ؟

جرّبوا الصدق مرةً واحدة ، يا أدباء هذا الزمان ، وحاولوا مرةً واحدة أن يكون لكم وجودٌ منزّه عن التبعية ، ولو كانت فى أشرف الأوضاع ، ليصح لكم القول بأنكم من دعاة الحرية والاستقلال

إن محنة الأدب فى هذا العصر محنة عاتية ، وهل توجد محنة

أقسى من محنة العبودية ؟ ولأى سبب ؟ للقوت الذى لا يبخل الله به على ضعاف النمال !

إن الأديب المصرى لم يُخلق بعد ، الأديب الذى يستوحى نجوم السماء لا نجوم الأرض ، الأديب الذى لا يخاف الجوع ، لأن له زاداً من الحب والنسيم ، الأديب الذى لا يخشى التوحد ، لأن التوحد هو أنس الأسود

التصوف خُلق أول مرة فى مصر ، فى عهود سبقت عهود الفراعين . عنا أخذ الناس معانى الروحية ، فهل يعاب علينا أن ندعو إلى الصوفية الأدبية ؟

ولكن أين الأديب ؟ أين لا أين ، فقد طوقت المنافع ألباب الأدباء فى هذا الزمان ؟ !

إن وُجد الأديب المصرىّ المنشود فسيكون المرجع لأقطاب السياسة وأعيان المال ، لأن الأدب هو الميزان لفهم مطالب الحياة وحقائق الوجود

وهنا تظهر إحدى الدقائق الروحية : فالميزان لا يستفيد مما يَزِن ، وإنما يستفيد الوزان ، فيا أدباء مصر كونوا موازين لا وزّانين

آه ثم آه ! !

إن الذى يملك بعض المنافع فى هذه البلاد يعتز ويستطيل ، فكيف يجوز لحامل القلم أن ينسى نعمة الله عليه فيتمسح بهذا الركن أو ذاك ؟

وما الذى يمنع من أن نجرّب حظنا مع الله ، وقد جربنا الحظوظ مع الخلائق ؟

لقد عفا الله عن سفهاء الأدب فأورثهم الخلود ، برغم تردّيهم فى هوّة التزلف إلى الوزراء والأمراء والخلفاء

قال أبو نواس فى مدح الأمين :

عقتُ بحبل من حبال محمد أمِنتُ به من طارق الحدثان

فغضب الله عليه وعلى الأمين وأوردها موارد البلاء

واعتزّ البحترى بصحبة المتوكل فضاع الأول وهلك الثانى

أنا أدعو الأدباء إلى التخلق بأخلاق الصوفية . . .

هل تذكرون بعض مذاهب الصوفية ؟

اسمعوا هذا الحديث :

انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دينٌ يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء ، وهذا كفرٌ بظاهر القول ، ولكنه فى الجوهر غاية الإيمان ، لأن المهمّ أن تصحّ الصلة بصاحب العزة والجبروت ، والأنبياء عباد الله قبل أن يكونوا مرسلين وبعد أن كانوا مرسلين ، وهم أشرف من أن يدّعوا مشاركة الخالق فى طاعة المخلوق

ومشكلة الأدباء أهون من مشكلة الصوفية ، فنحن لا ندعوهم إلى الترفع على الأنبياء ، وإنما ندعوهم إلى الترفع على الناس . ندعوهم إلى أن يعرفوا أنفسهم . ندعوهم إلى أن يعرفوا نعمة الله عليهم . ندعوهم إلى التنسك فى سبيل المبادىء الروحية . ندعوهم إلى إنقاذ الأدب من مزالق الرياء

فلان الذى يكتب فى المجلة الفلانية عن الدين والأخلاق لا يستبيح المرور بشارع فؤاد ولا عبور جسر قصر النيل ، مخافة أن يقول الناس إنهم رأوه يسير هنا أو هناك

فكيف تعبدون الله يا عَبيد الناس ، وهل يعبد الله من يخاف الناس ؟

إطرحوا هذه البراقع . إطرحوها ، إطرحوها ، والله المسئول عن أقواتكم ، إن ضاعت بسبب الصدق ، فبينكم وبين الله عهدٌ وثيق ، عهد يقضى بأن لا تكون العزة لغير الصادقين ، والله لا ينقض الميثاق

فى كل ميدان فرصٌ ينفع فيها التمرين والتدريب ، إلا الأدب ، فهو موهبة ربانية لا تنال بجهاد الأنفس والأموال ، ولا يظفر بها الملوك ، إلا إن كانوا موهوبين

تستطيع الشعوب أن تُجلس على عرش المُلك من تشاء ، ولكنها تعجز عن خلق الأديب ، لأن الأديب من إبداع المبدع الوهاب ، ومن كرم الله على الأنبياء أن جعلهم فصحاء . وهل فات موسى أن يسأل الله تأييده بلسان هرون ؟

الأدب سلطنة لا يجوز عليها الذل

والكفر بالأدب كفرٌ يمحق الله في اصطفاء من يشاء

ثم ماذا ؟

ثم يبقى القول بأن إيمان الأدباء بالله ضعيفٌ ضعيف ؛ فما زالوا يتوهمون أن لهم حوائج مع الخلائق ، وهذا شِركٌ لا يرضاه الله ولا نرضاه

أنا أعرف السر في انهيار دولة الأدب في جميع الأجيال ، فقد كان الأدباء يخافون الله ويصافون الناس

فيا أيها المبدع الأول والأخير لأنوار القلوب وأضواء العقول ، تفضلْ فاجذبنا إليك ، حتى لا نرى روحاً سواك ، ولا نشهد إلا إياك ، ولا نستجير بغير حماك ، ولا نعتمد إلا عليك فما يعتمد على الخلائق غير الأذلاّء

الأدب خير ما أبدعتَ ، فهو منك وإليك ، ولك الحمد وعليك الثناء .

زكي مبارك

في الأدب المقارن

الندوات الأدبية الخاصة
في الغرب
للأستاذ صلاح الدين المنجد

عُني مؤرخو آداب الأمم الغربيّة بتصوير المجالس الأدبية التي كانت تعقد في أوربة في القرون الخوالي . فقد لاحظوا أن أبهاء الأمراء والنبلاء ، وأندية الفلاسفة والعلماء ، ومجامع الشعراء والأدباء ، كان لها في أحايين كثيرة أثر بالغ في توجيه الأدب وجهة معينة ، وإكسابه لوناً لا عهد له به من قبل ، وتوشيته بصور طريفات فيها جمال وحياة

كانت وحدة الأذواق والميول ، تدفع في الغالب إلى عقد هذه المجامع ، وربما كان السببُ في بعض الأحايين ، نبلَ أميرة ، أو ذكاء سيّدة ، أو عبقرية أديب ، أو الطمع في غرض نبيل والسعي وراء غاية مثلى . وقد بدأت هذه المجامع تظهر منذ القرن السادس عشر ؛ ففي أسبانية أُسس أول مجمع أدبي حوالى سنة (١٥٣٠) وكان رأسه « دلافيرجا C. de la Verga » وكان ينهج هو وصديقه « Boscan » نهج الشعراء الإيطاليين ويقلدان آثارهم تقليداً شديداً

وجعل فريق من المعجبين بالشاعر الإيطالي « بترارك » في فرنسة ، مدرسة خاصة به في « ليون » ، في منتصف القرن السادس عشر . وكان أفراد هذه المدرسة يتتبعون آثار ذلك الشاعر ، ويسلكون نهجه ، وينشرون مبادئه الأخلاقية ، ويرون أن شعره أحسن وأرفع شعر ينبغي للشعراء أن يغترفوا من معينه دائماً

وفي هذه الحقبة ، أعني في منتصف القرن السادس عشر ، أُسس في باريس مجمع سموه « بلياد Pleïade » (١٥٥٠) . وكان برأسه « رونسار Ronsard » الشاعر ، وفيه ستة آخرون ، وقد كان هذا الاسم يطلق في القرون الخالية على بنات أطلس وبليون Pleïone السبع اللواتي قتلن أنفسهن من الخيبة ، ثم انقلبن إلى نجوم تسطع في السماء ، كما تروي الأساطير . وقد اتخذ هذا الاسم سمة من الشعراء اليونانيين لمجمع لهم ؛ ثم أطلقه رونسار على مجمعه بعدهم . وكان رونسار وأصدقاؤه ينشرون الشعر الإيطالي وينقلونه إلى الفرنسية . وقد بينا هذا في مقالنا عن أثر الآداب الأجنبية في الأدب الفرنسي في هذه المجلة ، فليرجع إليه[١]

وفي انجلترا جمعت « الكونتس دوبمبروك Comtesse de Pembroke » حولها فئة من الشعراء الذين كانوا يقلدون مآسي الشاعر الفرنسي R. Garnier « كهيبوليت Hippolyte » و « اليهود Les Juives » وغيرها ، وكانوا يحاولون الوقوف دون انتشار الدرام الحرة التي قامت قبل شكسبير

وفي سنة (١٧٧٠) قام فريق من الأدباء في غوتنجن Göttingen فأسسوا مجمعاً سموه « مجمع الاتحاد Union » وكان هدفهم تمجيد « ڤولتير Voltaire » الشاعر الفرنسي و« ويلند Wieland » الشاعر الألماني ، الذي أطلقوا عليه اسم « ڤولتير ألمانية » وكانوا معجبين أيضاً بالشعراء الإنجليز

(١) في العدد ٤٥٧ من هذه المجلة

وفى الوقت نفسه أُسس فى ألمانية المجمع المُسمّى : « Assaut et élan » وكان يمجد « أوسيان » و« شكسبير » الإنجليزى ، وروسو الفرنسى

وفى أواخر القرن الثامن عشر ، كانت المدرسة الابتداعية الألمانية التى كان يرأسها « شلجل Schlegel » تتعطش لآثار شكسبير و « سيرڤانتس Servantès » الأسبانى ، وأدباء المآسى فى أسبانية والبرتغال

وقامت فى السويد ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، جمعية العصبة السويدية المسماة « Fosforistes » لتنقل إلى شعرها محاسن الشعر الابتداعى الألمانى والإنجليزى .

أما فى فرنسة ، فقد قامت فى القرن التاسع عشر عدة ندوات أدبية ؛ فقد كان « ستاندال » الروائى ، و « آمبير Ampère » الأديب المؤرخ ، و « جاكومونت Jacquemont » الرحالة ، و « ميريمه Merimée » الكاتب الروائى ، يجتمعون فى دار « ديلكلوز Delecluz » المصور الشهير والنقاد اللاذع ، ليقرأوا آثار أوسيان الأيقوسى ، وروائع شكسبير ، ويمجدوا آياتهما

وكان هناك عصبة هوغو المسماة « سيناكل Cénacle » ومعنى هذا الإسم ، صومعات صغار أدبية . وكان يطلق فى الزمن الغابر على الغرفة التى كان المسيح عليه السلام يجمع فيها تلاميذه ثم أصبحت تطلق على كل اجتماع ، وخُصّصت أخيراً بمجمع هوغو فى فرنسة . وكان من أفراد هذا المجمع « دُفينى A. de Viny » الشاعر المتشائم ، و « نوديه Ch. Nodier » القصصى ، وديشامب Deschamps الروائى ، ودموسيه A. de Musset صاحب الليالى ، وغيرهم . وكانوا مأخوذين بروائع شكسبير و « بيرون Byron » و « سكوت Scott » يتتبعون آثارهم ويستوحونها فى كثير من الأحايين .

وقد نجد فى بعض الأحايين مجامع أدبية كانت تقوم حول مجلة أفرادها هم مؤسسوها والمحررون فيها . كالمجمع الذى قام حول مجلة « La Muse Française » ، و « Globe » فى فرنسة ، ومجلة « L'Europeo » فى إسبانية ، ومجلة « Fosforos » فى السويد ، ومجلة « L'Athenæum » فى ألمانية ، ومجلة « Conciliatoré » فى إيطالية .

وإلى جانب هذه المجامع ، كانت تقوم أبهاء الأدب وصالوناته . وقد كان لها أثر فى نمو الأدب ونهضته وبعثه . وأقدم بهو هو بهو أوتيل دُرامبوِيّه « L'Hotel de Rambouillet » .

وكان لصالونات باريس فى القرن الثامن عشر أثر وصدى بعيد ، وساعدت على انتشار ألوان طريفة من الآداب الأجنبية . كصالون مدام ديفّاند ، والآنسة دلسبيناس . . .

وكان رجال هذه الأبهاء متأثرين بالأدب الإنجليزى . وفى ستوكهولم كانت سيدتان مركزين للأدب فتحا قصريهما لأهله ، وهما : السيدة نوردينفلخت والسيدة لينوجرن « Mme. Nordenflycht » و « Mme. Lenugren » . وفى لندرة قام صالون الدوقة دُمازاران duchesse de Mazarin فى القرن السابع عشر ، وصالون اللادى هولاند Lady Holland فى القرن الثامن عشر . وكانت هذه الأبهاء وسيطة لنقل الأدب الأجنبى إلى انجلترا ، ومن انجلترا إلى فرنسة .

وفى القرن التاسع عشر نجد فى فرنسة صالون « مدام موهل Mme. Mohl » و « مس مارى كلارك » . على أن أعظم هذه الصالونات أثراً ، صالون « مدام دستال » فى قصر « كوبه » الذى فتح أبوابه من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٨١١ . وكان مهبطاً للعلماء ومزاراً للأدباء

وتبيان أثر هذه المجامع والأبهاء فى نشر الآداب وإحيائها ، بصورة أكثر تفصيلاً يحتاج إلى صفحات مطولات . غير أن من المقرر أنها كانت وسيلة إحياء وتلقيح وازدهار ، وأنها كانت سبباً فى تقدم ونمو وانتشار

* * *

هذه لمع عن مجامع الأدب الخاصة فى الغرب ، ذكرت ما كان له منها شأن وأثر كبير . وهناك مجامع وأبهاء أقل شأناً أغفلتها . وليت أدباءنا يمنون بنشر ما يعرفونه عن المجامع الأدبية الخاصة فى مصر والشام والعراق ، فى العصر الخالى أو العصر الحاضر ، فى هذه المجلة . فإن فى ذلك طرافة ومتعة وتسجيلاً لصفحة من صفحات تاريخ أدبنا الذى نكتبه اليوم .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

الشعب الحبشي

للدكتور فؤاد حسنين

إذا تحدثت لقراء الرسالة عن الحبشة فإنما أتحدث عن بلاد تربطها بالشعوب العربية روابط عديدة أذكر منها على سبيل المثال إلى جانب الجنس واللغة ، الدين والجوار . الشعب الحبشي في مجموعه سامي حامي ، ولفظ حبشة إن دل على شيء ، فإنما يدل على تلك القبائل التي استوطنت بلاد العرب الجنوبية ولعبت دوراً هاماً في التاريخ المعيني السبائي . والتاريخ يحدثنا أن هذه القبائل ، أعني قبائل حبشة ، هاجرت من بلاد العرب الجنوبية حوالى القرن العاشر قبل الميلاد واستوطنت الجزء الشمالي من بلاد الحبشة فأطلق على ذلك الجزء اسمها . ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على هذه البلاد الواقعة بين خطي عرض ٤ و ١٥ شمال خط الاستواء . فسكان البلاد الذين أطلق اسمهم على تلك البلاد عرب وعرب خلص نزحوا من بلاد معين وسبأ في عصر كان يطلق فيه بحق على بلاد اليمن بلاد العرب السعيدة حيث المدنية زاهرة والحضارة زاخرة . نزحت تلك القبائل إلى القارة السوداء فحملت معها كثيراً من معالم الحضارة العربية الجنوبية من دين وكتابة وعلم وأدب، فغزت العقول كما غزت البلاد، وأقامت هناك الدعائم الأولى للحضارة الأثيوبية وأزالت العقبات التي كانت تعترض تقدم العقل الأفريقي ومهدت للديانات السامية السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام بفتح تلك البلاد وتثبيت أقدامها . نزلت قبائل الحبشة ذلك الصقع الأفريقي فوجدت فيه عنصراً أفريقياً وآخر حامياً انفصل عن أرومته السامية الأصلية فامتزجت بهما وتكون من هذا المزيج الشعب الحبشي الحالي ، فهو إذاً شعب مركب من عنصر أفريقي قديم، وآخر حامي أو كوشي ، وثالث سامي ، فنحن نرى من هذا أن سكان البلاد ينتمون إلى جنس هو جنسنا، ولسانهم ، قديمه وحديثه ، ينتمي إلى الأسرة السامية الحامية التي تضم كثيراً من اللغات كالعربية والمصرية القديمة .

وقد عرضت لإثبات هذه العلاقة بين الأحباش والساميين أسطورة حبشية قديمة تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم أعني قصة ملكة سبأ وسليمان .

فالأسطورة الحبشية ككثير من الأساطير تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قروناً عديدة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يومياً ما لا يقل عن عشرة بقرات ومثلها من الثيران وألف رأس من المعز ومائة من الضأن وكثيراً من طيور السماء إلى جانب ما يقدم له من العذارى ، فضاق السكان به ذرعاً فلجأوا إلى شخص اشتهر بالقوة يسمى (إنجابو) وفاوضوه في أن يقتل التنين ويتولى هو الملك عليهم ، فقبل (إنجابو) وقتل التنين وتولى الملك وأنجب ابنة تسمى (ماكدا) وهي التي تعرف في التاريخ باسم ملكة سبأ ودخلت ملكة سبأ في حرم سليمان ، وفي طريقها إلى بلادها وضعت غلاماً أسمته (ابن حكيم) أو ابن سليمان ، وهو المعروف في التاريخ الحبشي باسم (منليك الأول) مؤسس الأسرة السليمانية التي جلست على عرش الحبشة من (٩٥٠ ق . م إلى ١٨٥٥ م) .

فمن هذه الأسطورة نعرف العلاقة بين الفرعين الساميين من ناحية ، ونفهم الحكمة في أن نجاشي الحبشة يعتبر نفسه أسد سبط يهوذا الذي رمز إليه في العلم الحبشي بأسد متوج شاهراً بيمينه صولجان القوة والجبروت .

وكما أن بلاد الحبشة هي الملتقى لهذه العناصر السامية الحامية ، فهي الأرض التي نجد من بين سكانها الوثنيين واليهوديين والمسيحيين والمسلمين . فالوثنيون يدينون بوثنية تحمل إلى جانب طابعها الأفريقي طابعاً أسيوياً يمنيًا ، فإلى اليوم ما زلنا نقرأ في الكتب الحبشية والآثار الأدبية كثيراً من الألفاظ الوثنية القديمة مثل (محرم) إله الحرب ، و (عستر) إله السماء ، و (مدر) إله الأرض ، و (بحر) إله البحر . وإلى اليوم أيضاً ما زال أصحاب هذه الديانة يلعبون دوراً هاماً في التنافس القائم بين المسيحية

والإسلام ، فمن بين العشرة ملايين نسمة التي يتكون منها الشعب الحبشي نجد نحو ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التي أدخلها المبشرون البلاد في القرن الرابع الميلادي ، وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمي عام ٣٥٠ م عند ما اعتنقها الملك (عزانا) . أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة . ومن الجدير بالذكر هنا أن قبائل كثيرة مسيحية ووثنية أخذت تسارع إلى الدخول في الإسلام في السنوات الأخيرة حتى أزعج ذلك كثيراً من الدول الأوربية فسارعت إلى مكافحته والوقوف في وجهه . وهذا التنافس بين الإسلام والمسيحية ليس حديث عهد في الحبشة . فالتاريخ الحبشي نفسه يحدثنا أن تاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . ولعل أهم عصر يتجلى لنا فيه هذا الصراع الديني هو الزمن الممتد ما بين عامي ١٥٤١ و ١٥٤٣ ؛ ففي ذلك الوقت ظهر قائد حبشي مسلم يسمى أحمد بن إبراهيم ، اشتهر ببسالته ومهارته الحربية ، فبعد أن كان جندياً بسيطاً أصبح أميراً على هرر . وفي عام ١٥٢٧ هاجم بقية الولايات الحبشية واستولى عليها وأخضعها لسلطان المسلمين ، وهرب الملك المسيحي (لبنا دنجل) واعتصم بالجبال ، ولو لا أنه استعان بالبرتغاليين الذين خفوا لمساعدته ما استطاعت المسيحية أن تعود ثانية إلى الحبشة . لكن هذا النفوذ الأوربي الذي استعانت به المسيحية في ذلك العصر عاد على الحبشة بأوخم العواقب ؛ فمنذ النصف الثاني من القرن السادس عشر أخذت تعنى بعض الدول الأوربية بالحبشة وظهرت في عالم السياسة المسألة الحبشية التي كانت سبباً قوياً من أسباب انقسام أوربا إلى معسكرين عظيمين لن يحل السلام بلادهما إلا بعد أن تتقوض أنظمة ، ويعم الخراب ، ويكثر الدمار . وبيان ذلك الاهتمام بالمسألة الحبشية أن أوربا منذ ذلك الحين أخذت تبعث الجمعيات التبشيرية إلى جانب بعض الرحالة والعلماء . وفي القرن السابع عشر أخذ المستشرقون الألمان يعنون بتاريخ الحبشة ولغتها . وفي القرن الثامن عشر نجد الرحالة والمستشرق الإنجليزي (بروس) يدخل الحبشة عن طريق مصر مكتشفاً منابع النيل . وفي عام ١٨٥٥ نجد أحد قطاع الطريق من الأحباش الذي كان راهباً وهرب من الدير يشن الغارات على سائر الأمراء وينتزع السلطان من أيديهم ويكلف (أبونا) أن يتوجه (نجوس نجست ذ إثيوبيا) أي ملك ملوك إثيوبيا وتسمى باسم (تيودور الثاني) وأخذ يقوم بإصلاحات داخلية كبيرة ، فألغى الرق وحرم تعدد الزوجات وضم إليه إقليم (شوا) وأصبح ذلك الملك الذي كان في صباه فقيراً مشرداً والذي كان يسمى (كسا) والذي كانت أمه تبيع في أسواق (جندار) غنياً قوياً وحد الحبشة وأخذ يخلق من شعبه أمة قوية مهيبة الجانب ، فاصطدم ببعض الأجانب المقيمين في بلاده ، فأرسلت انجلترا عام ١٨٦٧ اللورد (نابيير) على رأس حملة تأديبية للحبشة استولت بدون كبير عناء على حصن (مجدلا) ، ولما أيقن الملك بالهزيمة انتحر ، فكان موته سبباً في تفكك الوحدة الحبشية أيام خلفه الملك (يوحنا الرابع) الذي توجه الإنجليز عام ١٨٧٢ . وفي أيامه قام ابن والي إقليم (شوا) وطالب بإعادة إقليمه إليه فمنحه وأصبح ملكاً عليه وتسمى باسم (منليك) ، ومن حسن حظه أن يوحنا قتل في حربه مع الدراويش عام ١٨٨٩ فأعلن (منليك) نفسه ملك ملوك وأخذ يعمل جهده لجمع صفوف أفراد شعبه فهاجمته إيطاليا فهزمها شر هزيمة في موقعة عدوة عام ١٨٩٦ . وقد كان منليك هذا محبوباً من شعبه ، حتى أنه يقسم به إلى اليوم ، كما تم في أيامه الخط الحديدي من جيبوتي إلى أديس أبابا . وفي عام ١٩٠٨ مرض مرضاً أقعده عن القيام بمهام الحكم ، فتنازل عن الملك لامرأته (تيتو) وتوفي هو في ١٢ ديسمبر عام ١٩١٣ ، وتولى الملك بعد وفاته حفيده (ليدو يسوع) وكان يميل إلى الإسلام فلما ظهرت ميوله إلى الإسلام والمسلمين اجتمعت عليه عوامل مختلفة خارجية وداخلية وخلعته وزجت به في السجن عام ١٩١٧ ، وتولت بعده

أطوار الوحدة العربية

عوامل ثورة العرب

للأستاذ نسيب سعيد

أظنك لا تزال تذكر أني وعدتك في حديثي الماضي أن أفصّل لك ما أجملت من الأسباب المباشرة لثورة العرب الكبرى. وقد رددت هذه الأسباب إلى عوامل أربعة، وهي: العامل الشخصي، والإقليمي، والديني، والقومي. وها أنا الآن — برًّا بالوعد الذي قطعته على نفسي — أشرع بالإسهاب والتفصيل فأقول:

١ — العامل الشخصي

يذهب الباحثون إلى القول أن في مقدمة العوامل المباشرة للثورة العربية اعتقاد زعيمها « الحسين بن علي » بأن رجال الدولة العثمانية قد انتزعوا كل ثقة منه ومن أنجاله، وأنهم يتحينون الفرص للقبض عليه وإقصائه ونفيه إلى أقاصي البلاد.

ولا يخفى عليك أن الغاية الأساسية للترك من إرسال وهيب باشا القائد التركي العام إلى الحجاز وتزويده بما زود به من سلطة واسعة، هو لأجل القضاء على كل ما « للحسين » من نفوذ وشوكة في البلاد العربية. ويعترف جمال السفاح في مذكراته أن وهيب باشا هذا طلب من الحكومة إرسال فرقة من الجند لتنفيذ مشروعه، ولو لا مفاجأة الحرب العظمى — وقد جاءت على حين غرة — لنفذ ذلك المشروع الظالم، ولقضوا على « الحسين » قضاء أبديًا، بل لقضوا على كل حركة أو نهضة قومية في بلاد العرب

ويضاف إلى ذلك ما يردده البعض من المؤرخين وهو أنه كان « للحسين » عيون في ديوان حكومة مكة، وفي مكتب برقها، وفي الباب العالي أيضًا يوافونه بكل ما يدور بشأنه من مكاتبات بين الآستانة ومكة، ويطلعونه على جميع الخطط والتدابير. وما كان باستطاعة الاتحاديين الترك معرفة شيء من أسراره وخططه لأنه كان حذرًا، شديد التكتم؛ وقد ظل يجاملهم ويلاطفهم، حتى اضطرهم إلى استبدال وهيب باشا بغالب باشا في أوائل زمن الحرب الماضية، فارتاح من خصم شديد المراس، وخلا له الجو في العاصمة العربية فتصرف كما أراد وتسنى له أن يستأثر بمقادير كبيرة من السلاح في خلال سنتي الحرب الأوليين، كما استطاع الحصول على مبلغ كبير من المال لا يقل عن ٦٠ ألف ليرة عثمانية ذهب من جمال السفاح. ولعل خوفه من الانتقام هو الذي جعله يشترط على الترك في خلال المفاوضات التي دارت بينه وبينهم جعل الإمارة العربية وراثة في أنجاله لأنه كان يخشى إقصاءه في أول فرصة تسنح، فأراد لذلك أن ينال من الدولة العثمانية عهداً باستبقاء الإمارة في بيته وذريته فيطمئن ويرتاح، فأبى عليه رجال الترك ذلك

الأميرة (زوديتو) ابنة (منليك) وإلى جانبها الرأس (تفاري) ابن عم (ليدو يسوع) حاكما على البلاد، وبقيت السلطة في يد (زوديتو) حتى ٧ أكتوبر ١٩٢٨ إذ نودي بالرأس (تفاري) ملكاً فقط. وبعد وفاة القيصرة عام ١٩٣٠ أصبح ملك ملوك في ٢ نوفمبر ١٩٣٠ ولقب بلقب (هيلاسلاسي) أي قوة الثالوث.

وما كاد يجمع عزيمته للعمل على رفع مستوى شعبه علمياً وأدبياً وعسكرياً حتى انقضت عليه إيطاليا الفاشستية واغتصبت منه عرشه. لكن هذا النصر الإيطالي لم يكن في الحقيقة إلا انتصار الحديد ووسائل القتال الحديثة التي لم تكن متوفرة عند الحبش على الشجاعة والبطولة والإيمان بالقول المأثور (النصر مكتوب لأسد سبط يهوذا) الذي تحقق أخيراً بفضل تعاون الأسدين اليهوذي والسكسوني.

فؤاد حسنين
مدرس بكلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

٢ — العامل الإقليمى

ويأتى العامل الإقليمى أو الاقتصادى بعد العامل الشخصى ، ويجب أن يحسب حسابه أيضاً ؛ وقد نشأ عن مركز الحجاز الاقتصادى وعن حالته الاستثنائية . فالحجاز قطر مجدب أو واد غير ذى زرع كما وصفه التنزيل العزيز . وقد اعتاد سكانه أن يعيشوا مما يدره عليهم موسم الحجيج . ولا يخفى أن الحرب العظمى أعلنت فى شهر رمضان عام ١٣٣٢ أى قبل موسم الحجيج بثلاثة أشهر تقريباً ، فضرب الحصار البحرى على سواحل الحجاز فى البحر الأحمر فتعطل بذلك موسم الحج ، وشعر سكان الحجاز بالضائقة الاقتصادية الخانقة ، وشعروا كذلك بألم الجوع ، فكاتب الشريف « حسين » الحكومة وبسط لها الموقف الاقتصادى فى القطر المقدس بسبب تعطيل موسم الحجيج فاعتذرت بسوء الحالة ، وبحاجة الجيش إلى القوت ، ولم ترسل شيئاً يهون على العرب هناك أمرهم وما هم فيه من ضنك وضيق فجاءوا الحسين يتوسلون إليه أن يعمل لإنقاذهم ، والوسيلة الوحيدة للخلاص من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات كانت بمحالفة البريطانيين ، والاتفاق معهم على إلغاء الحصار البحرى فتعود السفن والبواخر إلى زيارة الحجاج حاملة الميرة والحجاج والأموال والخيرات

٣ — العامل القومى

وخلاصة ما يقال فيه أن الحسين ، وقد كان العرب ينظرون إليه كأكبر زعيم عربى فى ذلك العهد كبر عليه أن تساق الحرائر من أبناء أمته إلى الأناضول سبايا تحت ستار النفى والإبعاد ، وأن يقتل كبار قومه ، ويقلبوا ويمحوا من الأرض ويشتت شملهم لا لذنب جنوه ولا لإثم اقترفوه ، وإنما لأنهم طالبوا الدولة العثمانية بإصلاح بلادهم العربية خوفاً من أن يؤدى الإهمال فيها إلى تدخل الدول الأجنبية فى شؤونها باسم الإصلاح — كما جره من قبل فى البلقان — ولذلك لم يجد الأمير العربى بداً حينما وقعت الواقعة ، وأصم الترك آذانهم ، من إجابة ملتمسه بالعفو عن زعماء العرب وأحرارهم من إعلان الثورة الكبرى انتقاماً لهم من الترك ، وطلباً للثأر ، ولإنقاذ بقايا السيوف من أبناء العروبة الأحرار ، وقد كانوا مهددين بالفناء والموت المحتم .

وهنالك شبه إجماع بين الباحثين فى القضية العربية على أن إسراع « الحسين » فى إعلان ثورة العرب بعد الفتك بالرعيل الأول والثانى من الشهداء الأبرار ، ونفى الأسر الكبيرة العربية إلى أقاصى الأناضول ، حمل الترك على تغيير سياستهم وأساليبهم كما اضطرهم إلى استقدام جمال باشا وتنحيته عن العمل فى بلاد الشام ، فعاد إلى عاصمة الترك يجر أذيال الخيبة والانكسار بعد ما فشلت مساعيه ، وخابت آماله فى إنشاء عرش له فى دمشق يتبوأه ويورثه لأبنائه من بعده وعلى الباغى تدور الدوائر

هذا من ناحية واحدة ، أما من الناحية الأخرى فقد كان الاعتقاد سائداً بين العقلاء أن النصر فى ختام الحرب سيكون للانكليز وحلفائهم ، فتدور الدائرة على الألمان وأنصارهم ومنهم الترك فتنقرض الدولة العثمانية ، ويموت الرجل المريض ، ويستولى بالتالى — الحلفاء على أراضى تلك الأمبراطورية الواسعة ، وبلاد العرب من جملتها ، وهكذا يقع العرب فى أيدى الدول الغربية الكبرى ؛ ولذلك كان لا بد للحسين بصفته زعيم العرب الأكبر يومئذ من الاتصال بخصوم الترك والألمان ، وعقد المواثيق معهم لإنقاذ دنيا العرب من أيدى الظلم والاستعباد ، وإنشاء الدولة العربية الكبرى الموحدة ، فتحل فى الشرق مكان الدولة العثمانية المنقرضة ، وتجدد مجد العرب الخالد ، وتبعث عزهم الطريف التالد ، وتحيى دولتهم العظيمة

٤ — العامل الدينى

وأخيراً يجب ألا ننسى العامل الدينى أيضاً ، فقد كان الحسين ، وهو صلب فى دينه ، شديد التمسك بأحكام الشريعة السمحاء ، مغرقاً فى المحافظة على التقاليد الإسلامية الحنيفة ، يعتقد بكفر الاتحاديين الترك وخروجهم على الإسلام لأعمال بسطها بسطاً وافياً فى المنشور الذى أذاعه على العالم الإسلامى

يوم إعلان ثورة العرب ، وقد نعمى من هذه المقدمة السلبية إلى نتيجة إيجابية وهى فرض قتالهم على كل مسلم ، والجهاد فيهم إنقاذاً للأمة من شرورهم . وقد قام بهذا الواجب حين أعلن الثورة عليهم وقاتلهم قتالاً رهيباً ...

تلك هى خلاصة العوامل التى عجلت فى إعلان ثورة العرب الكبرى ، ودفعت أميرهم « الحسين » إلى الصراع مع الترك وأنصارهم ، والانضمام إلى البريطانيين وحلفائهم .

والباحث المدقق فى هذه الثورة التى نشبت فى الحجاز أولاً ثم امتدت إلى بلاد الشام وغيرها من أقطار العروبة يجد أنها تمتاز عن الثورات والحركات العربية القومية الأخرى ، بكونها أول حركة استقلالية قام بها العرب مطالبين بالحرية والاستقلال ، والانفصال عن الترك والإفلات من نير الدولة العثمانية الجائر لتأسيس ملك عربى مجيد ، وتقلدوا السلاح لأجل ذلك . كما أنها كانت أعم ثوراتهم وأوسعها نطاقاً فقد اشترك فيها أبناء الحجاز ، ومصر والشام والعراق واليمن ونجد والشمال الأفريقى فوقفوا جنباً إلى جنب يقاتلون الترك تحت راية العروبة الخفاقة ، فأنقذوا الحجاز وحرروه من كل نفوذ أجنبى ، ثم واصلوا السير نحو الشام فاستولوا على جنوب القطر الشامى ثم اخترقوه وبلغوا أقصى حدوده الشمالية ، ولو ساعدتهم الظروف لواصلوا التقدم إلى العراق ، ولاستولوا عليه أيضاً . على أن ما فاتهم فى عام ١٩١٨ أدركوه فى سنة ١٩٢٠ فقد أنشأوا حينئذ حكومة عربية برئاسة أحد أبناء « الحسين » فى تلك الربوع

فهذا الطابع الخاص الذى طبعت به ثورة « الحسين » جعل لهـا مقاماً ممتازاً فى نفوس العرب على اختلاف أقطارهم ، وتباعد ديارهم ، وجعلهم يكبرون شأنها ، ويحتفلون بذكراها ، يضاف إلى ذلك أنها أنقذت الكثيرين من رجال سورية والعراق من موت محتم أو من شقاء دائم ، فقد كانت الخطة التى سار عليها الاتحاديون الترك فى ذلك العهد المظلم تقضى بنفى الأسر العربية الكبرى إلى أقاصى الأناضول لتتريكها وإفنائها ، واحتلال الأرمن محلها فيصبح الناس فى الشام بلا سراة ، كما أنها اضطرت الترك لإطلاق سراح كثيرين من الذين كانوا معتقلين فى غياهب السجون ، وكانوا ينتظرون صدور الأمر بإعدامهم من آن لآخر شأن إخوانهم الشهداء الذين سبقوهم .

وسيقدر العرب الأبرار — كلما طال بهم الزمن وامتد — ثورة أجدادهم هذه حق قدرها ويكبرونها ويجلونها ويدركون أنها من أنبل الثورات وأشرفها ، وإن الدعايات التى بثها الترك والألمان ضدها فى إبان الحرب الماضية لتشويه سمعتها ، ما كانت سوى أضاليل اقتضتها مصلحتهم السياسية ؛ ورغم النقائص التى اقترنت بها أسدت للعرب يداً كبرى ، وفتحت لهم باب الحياة القومية ، وعلمتهم كيف يثورون على الظلم والاستبداد ، ويقاتلون الظلام والمستبدين ، وكيف يطلبون الثأر والانتقام لأحرارهم وزعمائهم ومفكريهم الذين غدر بهم الترك ، وسقوهم كأس الردى لأنهم نشروا « الفكرة القومية » المقدسة ودعوا إليها .

أما كيف أعلنت الثورة ، وأين كانت ميادين الصراع ، فهذا سيكون موضوع حديثنا المقبل ، فإلى اللقاء .

« دمشق » أديب سعيد الحمامى

٤ – خزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأستاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس ابن الحسين بن حمدان ، رءوس جماعة من أصحابه

ذكر مسكويه فى حوادث سنة ٣٠٤ هـ أنه « قبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع إخوته وحبسوا فى دار السلطان . وكان هرب ابن الحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد ، فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه وحملت رءوسهم إلى الحضرة »(١)

(د) رأس ليلى بن النعمان الديلمى

كان من ماجريات سنة ٣٠٩ هـ ، أنه « دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان »(٢)

(هـ) رأس أحمد بن على

ارتكب أحمد بن على وهو من أمراء الأعاجم من الظلم والشر أمراً عظيما ، وذاع خبر شره ؛ تخافه الناس . ولكن أمد الظلم قصير ، « فلما كان فى ذى الحجة من سنة ٣١١ هـ ، ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبى الساج بأحمد بن على أخى صعلوك ، وقتله إياه ، وأنه أخذ رأسه وهو على حمله إلى بغداد »(٣)

ثم قال مسكويه فى أحداث سنة ٣١٢ هـ ، إن « فى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبى الساج من آذربيجان إلى الرى ومحاربته أحمد بن على ، وحمل رأس أحمد ابن على وجثته إلى مدينة السلام »(٤)

(و) رأس الصيدلاوى

لم تخل خزانة الرؤوس حتى من رؤوس العيارين ، والشطار وقطاع الطرق . فهذا المعروف بالصيدلاوى كان « يقطع الطريق فاحتال عليه بعض الولاة فدس إليه جماعة من الصعاليك أظهروا

(١) تجارب الأمم (٥ : ٣٨)
(٢) تجارب الأمم (٥ : ٧٦)
(٣) تجارب الأمم (٥ : ١١٧)
(٤) تجارب الأمم (٥ : ١١٩)

الانحياز إليه ، فلما خالطوه ؛ قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الكوفة ، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد »(١)

(ز) رءوس جماعة من الفرنج :

كان من أجلّ أنباء سنة ٥٥٢ هـ : الواقعة بين الإسلام وبين الفرنج . قال ابن الجوزى : « وكانت وقعة عظيمة بين محمود بن زنكى وبين الإفرنج ، وفتح عسكر مصر غزة واستعادوها من الإفرنج ، ووصل رسول محمود بتحف وهدايا ورءوس الإفرنج وسلاحهم وأتراسهم »(٢)

٣ — نصب الرءوس فى جانبى بغداد

(ا) رأس رافع بن هرثمة :

من الأنباء التى حفلت بها سنة ٢٨٤ هـ : « قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة فى يوم الخميس لأربع خلون من المحرم على المعتضد ، فأمر بنصبه فى المجلس بالجانب الشرقى إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربى ونصبه هنالك إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان(٣) . وخلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس »(٤)

٤ — نصب الرءوس على جسور بغداد

(ا) رأس القرمطى ، رءوس جماعة من قواده وأصحابه :

والقرمطي هذا ، هو الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، الذى اشتهر أمره ، وبالغ فى الظلم والفساد ، وهزم جيوش الخليفة غير مرة : وقد شرح أمره وأعماله جلة من المؤرخين ، فإذا أردتها فارجع إلى سنة ٢٩١ هـ وما قبلها تجد أخباره مفصلة . والذى يهمنا ها هنا رواية تعذيبه وقطع رأسه إذ كان قد حان قطافه . ودعنا نستل خبره من الطبرى الذى قال فى الوقعة بين القرمطى هذا وبين أصحاب الخليفة : « ... ولما تقدمت [الكلام لمحمد بن سليمان الكاتب] فى جمع

(١) المنتظم (٧ : ١٠٥ ؛ حوادث سنة ٣٧٠ هـ)
(٢) المنتظم (١٠ : ١٧٦)
(٣) رد إلى دار السلطان — أى دار الخلافة — ليوضع فى خزانة الرءوس على الرسم
(٤) تاريخ الطبرى (٣ : ٢١٦٠) ؛ وانظر : مروج الذهب (٨ : ١٨٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٧٦)

الرءوس، وجد رأس أبي الحمل، ورأس أبي المذاب، وأبي البغل وقيل النعمان قد قتل؛ وقد تقدمت في طلبه وأخذ رأسه وحمله مع الرءوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله »[١]

وها هو ذا يحدثنا عن القرمطي وأصحابه يوم جيء بهم أسرى إلى بغداد لينالوا جزاء ظلمهم وعيثهم، ولا يبعد أنه رأى المشهد بعينه؛ فأمعن في الوصف وبالغ بذكر هذه الحقيقة. ودونك ما قاله: « ... ولما كان يوم الإثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفي القواد والغلمان بحضور الدكة التي أمر ببنائها، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها فحضروها؛ وحضر أحمد بن محمد الواثقي وهو يومئذ يلي الشرطة بمدينة السلام، ومحمد بن سليمان كاتب الجيش، الدكة فقعدا عليها. وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفي معه من الرقة، والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان في السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة، وقوم من أهل بغداد كانوا على رأي القرامطة وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة، وكانوا قليلاً، فجيء بهم على جمال وأحضروا الدكة ووقفوا على جمالهم ووكل بكل رجل منهم عونان، فقيل إنهم كانوا ثلثمائة ونيفاً وعشرين وقيل ثلثمائة وستين. وجيء بالقرمطي الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل في عمارية، وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة من الفرسان والرجالة، فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا، وقدم أربعة وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى؛ فقطعت أيديهم وأرجلهم، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد؛ كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيتقطع يمنى يديه ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس؛ ثم تقطع رجله اليسرى، ثم يسرى يديه، ثم يمنى رجليه، ويرمى بما قطع منه إلى أسفل، ثم يقعد فيمد رأسه فيضرب عنقه ويرمى برأسه وجثته إلى أسفل. فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين نفساً، وكانوا من وجوه أصحاب القرمطي فيما ذكر وكبرائهم، قدم المدثر فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه. ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوى فغشي عليه ثم أخذ خشب فأضرمت فيها النار ووضع في خواصره وبطنه، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضها؛ فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة. وأقام الواثقي في جماعة من أصحابه في ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة، حتى ضرب أعناق باقي الأسرى الذين أحضروا الدكة، ثم انصرف، فلما كان من غد هذا اليوم حملت رءوس القتلى من المصلى إلى الجسر، وصلب بدن القرمطي في طرف الجسر الأعلى ببغداد »[١]

(١) الطبري (٣ : ٢٢٤٢ — ٢٢٤٣)

(ب) رءوس جماعة من الأباضية

من الأحداث التي وقعت في سنة ٢٨٠ هـ؛ في خلافة المعتضد، على ما نقله المسعودي أن « افتتح أحمد بن ثور عمان، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين، فواقع الأباضية من الشراة وكانوا في نحو من مائتي ألف، وكان أمامهم الصلت بن ملك ببلاد بروى من أرض عمان، وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة، وحمل كثيراً من رءوسهم إلى بغداد فنصبت بالجسر »[٢]

(يتبع) **ميخائيل عواد**

(١) الطبري (٣ : ٢٢٤٥ — ٢٢٤٦)؛ وانظر الرواية أيضاً في المنتظم (٦ : ٤٣). وقال الطبري في حوادث سنة ٢٩٢ هـ: « ولثلاث خلون من شهر ربيع الأول منها، سقط الحائط الذي على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقي من الدار التي كانت لعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطي وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط فطحنه فلم يوجد بعد منه شيء »

(٢) مروج الذهب ٨ : ١٤٣. وانظر الطبري ٣ : ٢١٣٨

ليـــالى القاهرة

للدكتور إبراهيم ناجى

أليلاىَ ما أبقى الهوى بىَ من رُشْد   فرُدِّى على المشتاق مهجته ردّى
أينسى تلاقينا وأنتِ حزينة   ورأسك كابٍ من عَياء ومن سهد
أقول وقد وسدتُه راحتى كما   توسد طفلٌ مُتْعَبٌ راحة المهد
تعالى إلى صدر رحيب وساعد   حبيب وركن فى الهوى غير منهد
بنفسى هذا الشَّعر والخُصَل التى   تهاوتْ على نحر من العاج منقدٍّ
ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى   تميلُ على خدٍّ وتصدفُ عن خَدِّ
وهذى الكرومُ الدانياتُ لقاطف   بياضَ الأمانى من عناقيدها الرُّبْدِ
فيالكَ عندى من ظلامٍ مُحَبَّبٍ   تألَّقَ فيه الفرقُ كالزمن الرغد
ألا كلُّ حسنٍ فى البريّة خادمٌ   لسلطانة العينين والجِيد والقدِّ
وكل جمال فى الوجود حياله   به ذلة الشاكى ومرحمةُ العبدِ
وما راع قلبى منكِ إلا فراشـــةٌ
من الدمع حامتْ فوق عرشٍ من الوَجد
مجنحة صيغتْ من النور والندى   ترف على روض وتهفو إلى وِرْد
بها مثلُ ما بى ياحبيبى وسيدى   من الشجن القتّال والظمأ المردى
لقد أقفرَ المحرابُ من صلواته   فليس به من عابد ساهر بعدى !
وقفنا وقد حان النوَى أى موقف   نحاول فيه الصبر والصبر لا يجدى
كأن طيوف الرعب والبيْن موشكٌ
ومزدحِم الآلام والدمع فى حشْدى
ومضطرب الأنفاس والضــيقُ جاثمٌ
ومشتبكُ النجوى ومعتنق الأيدى
مَواكبُ خرسٍ فى جحيم مؤبّد   بغير رجاء فى سلام ولا بَرْد !!
فيا أيكةً مدّ الهوَى من ظلالها   ربيعاً على قلبى، وفيئاً من السَّعد
تقلصتِ إلا طيفَ حب محيّرٍ   على درَجٍ خابى الجوانب مسودّ
تردَّد واستأنَى لوعد وموثق   وأدبرَ مخنوقاً وقد غصّ بالوعد
وأسلمنى لليــل والقبر باردا   يَهُبُّ على وجهى به نفَس اللَّحد
وأسلمنى لليل والوحش راقدا   تمزقنى أنيابه فى الدجَى وحدى

كأن على مصر ظلامين: أعكرٌ،   وآخرُ من خافى المقادير مُرْبد
رُكودٌ، وَإبهامٌ، وَصَمْتٌ، وَوَحْشَةٌ
وَقَدْ ضَمَّهَا الْغَيبُ الْمُحَجَّبُ فى بُرْدَ
كأن سماء النيل لم تلقَ حادثا   ولاقصفتْ فيها القواصفُ بالرعدَ
أحقا تولّى ذلك الهــولُ، وامَّحتْ
خواطرُ ذاك الويلِ والرعب والحقد
فيا لَلقُلُوبِ الصابرات وقد خفتْ   على نعمةِ الإيمانِ والشكرِ والحمدِ
ويا للقلوب المؤمنات وأمنها   وضجعتها فى رحمة الصمد الفرد
أهذا الربيعُ الفخم والروضةُ التى   تزُفُّ إلى المستاف رائحةَ الخلد
تصير إذا رانَ الظلامُ ولفهـا   بجنحٍ من الأحلام والصمت ممتدٍّ
مباءةَ خمّارٍ وحانوتَ بائع   شقى الأمانى يشترى الرزق بالسهد
وقد وقفَ المصباحُ وقفةَ حارسٍ   رقيبٍ على الأسرار داعٍ إلى الجد
كأنْ تقيًا غارقاً فى عبادة   يقوم الدجى أو يقطع الليل بالزهد
فيا عالِمَ الأسرار، فى الحى نائم
قضى يومَه فى حومة البؤس يستجدى
وسادتُه الأحجارُ والمضجعُ الثرى   ويفترشُ الإفريز فى الحر والبرد
وسيارة تجرى لأمر مغيَّب   محجبةَ الأسرار خافيَةَ القصد
إلى الهدف المستور تنتهب الثرى   وتلمعُ لمعَ البرق يومضُ عن بُعد
متى ينجلى هذا الدجى عن مسالك   مرنقة بالجوع والصبر والكد
ينقِّبُ كلبٌ فى الحطام، وربما   رعى الليلَ هِرٌّ ساهر وغفا الجُنْدى
أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ   ولا فيك من مُصْغٍ لشاعرك الفَرد
أهاجرتى طال النوى فارحمى الذى   تركتِ بديدَ الشملِ منتثر العقدِ
فقدتُكِ فقـدانَ الربيع وطيبه   وعدتُ إلى الإعياء والسقم والسهد
وليس الذى ضيّعتُ فيك بهيِّنٍ   ولا أنتِ فى الغُيّابِ هينة الفقد
أتيتُكِ أستسقى فكيف تركتِنى   لهذى الفيافى الصُّمِّ والكُثُبِ الجُرْدْ
أتيتك أستعدى فكيف تركتِنى   إلى هـذه الدنيا وأحداثها اللُّدِّ
أتيتك أستهدى فــكيف تركتِنى
لهــذا الظلام المطبق الجهم أستهدى
أتيتُكِ أستشفى فكيف تركتِنى   ولم يبق غير العظم والروح والجِلْد
وهذى المنايا الحمر ترقصُ فى دمى   وهذى المنايا البيضُ تختالُ فى فودى

وكنتُ إذا شاكيتُ خففتِ محملي فهان الذى ألقاه فى العيش من جهد
وكنتُ إذا انهار البناء رفعته فلم تسكن الأيامُ تقوى على هدّى
وكنتُ إذا ناديتُ لبّيتِ صرختى
فوا حربا كم بيننا اليوم من سدّ!
وقد كان لى للعطف والحب مسلك
فأغلقته دونى فبتُّ بلا رَدّ!!
سلام على عينيك ما ذا أجنتا
من العطف والتحنان والحب والود
إذا كان فى لحظيك سيف ومصرع
فمنك الذى يحيى ومنك الذى يردى
إذا جُرّدا لم يفتكا عن تعمد وإن أغمدا فالفتك أروع فى الغمد
هنيئاً لقلبى ما صنعتِ ومرحباً وأهلاً به لو كان فتكك عن عمد
فإنى إذا جن الظلام وعادنى هواك فأبديتُ الذى لم أكن أبدى
وملتُ برأسى كابياً أو مواسيا
وعندي من الأشجان والحب ما عندى
أقبّلُ فى قلبى مكاناً حللته وجرحاً أناجيه على القرب والبعد
ويا دارَ من أهوى، عليك تحية
على أكرم الذكرى، على أشرف العهد
على الأمسيات الساحرات ومجلس
كريم الهوى عف المآرب والقصد
تنادمنا فيه تباريحُ شاعر على الدم والأشواك يمشى إلى الخلد
(فبودلير) محزونٌ و (فرلين) بائسٌ
(وميسيه) مجروح الهوى عاثر الجد
(وللمتنبى) غضبة مضرية وثورةُ مظلوم وصيحة مستعدى
دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوا
فقد نقشوا الأسماء فى الحجر الصلد
وما ذا عليهم إن بكوا وتعذبوا فإن دموع البؤس من ثمن المجد

ناجى

من أغانى الجسد

ليتني زورق...

الأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظمِئْتُ إلَى اللهِ يوماً... فلَمْ
أجِدْ خمرَتى غيْرَ هـذا الجَسَد
عَلَى ثغرِهِ آيَةٌ أفلَتَتْ بأسْرَارِهَا مِنْ نَبِيِّ الأبَدْ
عَلَى شَعرِهِ عَالَمٌ فوْتَهُ
وَعُودُ الْهوَى مُبْهَمَاتُ الأمَدْ
عَلَى نحْرِهِ هَالَةٌ حَدَّثَتْ برُؤْيَا مَلَاكٍ عَلَيْهَا سَجَدْ
وَفِى جفْنِهِ نَبَأٌ تَائِهٌ لِغَيْرِ الْهَوَى فِى دَمِى لَمْ يَرِدْ
وَفِى هُدْبِهِ نَغْمَةٌ عَذْبَةٌ كأَنِّى بِهَا سَاحِرٌ مُسْتَبِدّ
وَفِى قَدِّهِ... جَلَّ بَارِى الصِّبَا
صَلَاةٌ مُقَيَّدَةٌ فِى جَسَدْ
سَجَا نَهْرُهُ... لَيْتَنِى زَوْرَقٌ مَدَى الْعُمْرِ فِى لُجِّهِ يَرْتَعِدْ!
وَقَالَ: الْهَوَى! قُلْتُ: هَاتِ الْهَوَى
فَذَاتِى بِذَاتِكَ حُلْمٌ شَرَدْ
أذِبْنِى بِنَارٍ تَعَبَّدْتُهَا
وَلَمْ يُلْهِنِى عَنْ لَظَاهَا أحَدْ
ظَمِئْتُ لَهَا وَالدُّجَى مَارِدٌ يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ كأْسٍ وَيَدْ!
فَلَمْ تَسْقِنِى غَيْرَ هَذَا السَّرَابَ وَهَذَا الْعَذَابَ، وَهَذَا الكَمَدْ
فَعُدْتُ بِأيَّامِىَ اللَّاهِثَاتِ صَدَى آهَةٍ فِى حَنَايَا كَبِدْ
تَبَارَكْتَ يَا رَبِّ! هٰذَا الْجَمَالُ طَرِيقٌ إلَيْكَ انْتَهَى وَاتَّحَدْ...

محمود حسن اسماعيل



حقائق أدبية وذوقية

أخونا الزيات يخاف أن تصنع الصحافة بالكتّاب ما صنعت السينما بالمسرح ، وكان ذلك لأن السرعة السينمائية قضت على التؤدة المسرحية ، وفى التؤدة والتروى فرص للتجويد والتجميل . وسرعة الصحافة قد تفسد الأقلام إفساداً لا تصلح بعده لإجادة التأليف ، وبذلك ينقرض الكتاب ، وهو المرجع الأصيل لتثقيف العقول

حول هذه القضية ثارت آخر معركة بينى وبين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى سنة ١٩٣٧ ، وكان ميدانه مجلة الرسالة وميدانى جريدة المصرى ، وهى معركة مشئومة فقد أنذرته بالموت فمات قبل أن تنتهى أشواط الصيال .

ومع احترامى لآراء الرافعى والزيات فى هذه القضية فأنا لا أخاف على الأدب من السرعة ، ولا أراها من الجانيات على الإتقان ، ما دامت أثراً من ثورة العقل وفورة الطبع وما دامت صورة من اصطخاب العواطف واضطرام الأحاسيس .

والحق أن الكاتب الجيد لا يفوته أبداً أن يدقق فى الأسلوب ولو اشتهر بكثرة الإنتاج ، والحق أيضاً أن البطء ليس دائماً من الشواهد على إيثار التروى ، فقد يكون من آثار البلادة الذهنية عند بعض الناس

وبأى حق يخرج الكاتب على روح العصر ؟

العصر الحاضر عصر السرعة ، فكيف نخرج عليه ؟

وكيف نجهل فضل السرعة فى تهذيب الأساليب من أوضار التكلف والافتعال ؟

وهل عُرفتْ مرونة التعبير إلا عند الأدباء الذين قهرتهم سرعة الصحافة على مواجهة القراء فى كل يوم أو كل أسبوع ؟

كان المازنى جاحظىّ الأسلوب قبل أن يشتغل بالصحافة ، ثم جرفته السرعة فصار المازنى الذى نعرف ، المازنى الذى يكتب بلا تزيّن ولا تهويل ، فى حدود هى الغاية فى البيان

وهل ينسى الزيات نفسه فضل الصحافة عليه ؟

هل كان « وحى الرسالة » إلا دراسات فُرضت عليه فرضاً بحكم السرعة التى يوجبها إصدار صحيفة أسبوعية ؟

وهل كان من الممكن أن يجود ذهنه بذلك المحصول . لو تُرك للظروف التى توحى القول حين تريد ؟

السرعة أدل على الحيوية من البطء ، إلا أن يكون البطء صورة نفسية أصيلة تشبه بطء الطبيعة فى تكوين الجنين

على أنى أنكر أن تكون سرعة الكاتب المبدع من ضروب الارتجال ، فنحن نسرع فى التعبير لا فى التفكير ، لأن محصولنا الذهنى وليدٌ لتأملات قضينا فى ترجيعها شهوراً أو سنين ، فما نكتبه اليوم ليس ابن اليوم إلا من حيث التدوين

ثم أنتقل إلى مناقشة الدكتور عزام فيما سماه « السوقية فى الأدب » وهو ما يسميه الفرنسيون Mercantalisme بجامع الصلة بين الاتجار بالبضائع والاتجار بالآداب

والرأى عندى أن قلوب الجماهير أسواق نشترى فيها ونبيع ، ومن واجبنا أن نكسب تلك القلوب قبل أن يكسبها الدجالون

يجب أن تكون لنا غاية صريحة هى غزو القلوب بالأدب الصحيح ، وهذا الغزو لا يتيسر إلا إن كان للأدب جاذبية روحية تدخل على القلوب بدون استئذان

الأدب الحق هو الذى يضرم فى القلوب والعقول نار الشوق إلى معرفة الحقائق الأدبية والذوقية والعقلية ، وهو الذى يفرض على الجماهير أن تقيم أخلاقها على قواعد من المنطق السليم ، وهو الذى يجعل للحياة غايات روحية لا يفطن إليها غير من يسايرون أقطاب البيان

التجارة لا تعاب وإنما يعاب الربح عن طريق التزييف ، فمن استطاع أن يكسب قلوب الجماهير عن طريق الصدق فهو الأديب الحصيف أو التاجر الشريف

قلوب الناس تضيع من أيدينا ، لأننا لا نفكر فى رياضتهم على إيثار الصدق ، ولأننا نترفع عليهم فلا ندعوهم إلى الحق إلا بتعابير محمَّلة بالكبرياء

متى يصبح الأدب قوتاً لا تطيب بدونه الحياة فى أنظار جميع الأحياء ؟

يكون ذلك يوم يصير الأدب أفصح معبِّر عن سريرة الوجود .

زكى مبارك

(الرسالة) : لو تروى الأستاذ المبارك فيما كتبناه ، لعلم أننا لا نعيب السرعة إلا إذا أعجلت الكاتب فلم يحسن الكتابة ، أو أعجلت القارىء فلم يحسن الفهم

خطأ في رواية حديث

زعم الأب أنستاس ماري الكرملي في دفاعه أنه يتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية ... الخ ثم قال :

« فقد قال : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمق اللغويين »(١)

فيا أيها الأب أنستاس ماري الكرملي عضو مجمع ... الخ :

١ — الحديث الذي نقلته خطأ ، فقد قلبت المعنى واللفظ رأساً على عقب . ولفظه كما لا يخفى على أحد هو هذا : « ارجعن مأزورات غير مأجورات . »

٢ — ثم قلت : « مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين ! ! »

والعدول عن القياس — وحضرتك تسميه بالغلط — ليس في (مأجورات) كما زعمت إذ هي اسم مفعول من الأجر ؛ ولكنه في (مأزورات) لأنها من الوزر ، فالقياس : (موزورات) فاقتضى الذوق والحرس الحسن العدول عن القيس لإتباعها (مأجورات)

٣ — « لو كسرت يراعتك المرضوضة ، وألقيت بها في التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فتل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً ! »(٢)

قلنا ولم يصدق الأب إلا في هذه الكلمة بشرط أن يوجهها إلى من يتخبط في سطر واحد هذه التخبطات الشائنة الشوهاء وله فائق احتراماتي .

« دمشق » سعيد الأفغاني

البيتان لابن الفارض

تساءل الأديب محمد بشير عن صاحب هذين البيتين :

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ... مذ جرى ما قد كفى من مقلتي
قد برى أعظم حزن أعظمي ... وفنى جسمي حاشا أصغري

(١) العدد ٤٨٧ من الرسالة الغراء

(٢) هذه جملة الأب نفسه قالها في العدد المذكور من الرسالة لبعض الأفاضل .

أهو ابن الفارض ؛ لأن البيتين مذكوران في قصيدته اليائية المشهورة التي أولها : (سائق الأظعان يطوى البيد طي) ؟ أم هو المستشرق المعروف « بالمر » كما ذكر الأستاذ عبد الوهاب الأمين في الرسالة (٤٨٦ : ١٠٠٤) ؟

أقول : لا شك أن هذين البيتين من شعر ابن الفارض ، وأنهما من يائيته المعروفة . والدليل الذي لا يقبل الشك في ذلك هو أنهما موجودان في نسخة الديوان التي حررت وصححت بقلم ابن بنت الشيخ عمر بن الفارض نقلاً عن الشيخ كمال الدين محمد ابن عمر بن الفارض . وعلى هذه النسخة كتب الشيخ حسن البوريني شرحاً طويلاً كثير الفوائد وأثبت هذين البيتين وشرحهما . وقد فرغ من شرح القصيدة اليائية سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) . وكذلك أثبتهما الشيخ عبد الغني النابلسي في شرحه وكتب عليهما وقد فرغ النابلسي من شرحه لديوان ابن الفارض سنة ١١٢٣ هـ — ١٧١١ م

فالبوريني شرح البيتين في ديوان ابن الفارض قبل مولد « بالمر » بنحو ٣٣٩ سنة ، والنابلسي شرحهما قبل أن يولد هذا المستشرق بنحو ١٢٩ سنة برهان الدين الداغستاني

كلمة أخيرة في اختلاف القراءات

ما كنت أريد أن أعود إلى الكتابة في موضوع اختلاف القراءات بعد كلمة الأستاذ الفاضل عبد العليم عيسى ، ولكني قرأت كلمة للأستاذ الفاضل محمود عرفة يحاول فيها أن يحرف رأيي تحريفاً آخر إلى مذهب القائلين إن القرآن نزل بمعانيه دون ألفاظه وحروفه ، وهو مذهب لم يحى إلا على ألسنة بعض ذوي المقاصد السيئة من المستشرقين ، مع أنه هو الذي اعتنق مذهب أولئك المستشرقين في كلمته الأولى ، إذ حمل كل ما لا يدخل من القراءات في باب اختلاف اللهجات على التصحيف ، ولم يفرق في ذلك بين قراءات شاذة ومتواترة

ولست أدري كيف يحرف الأستاذ محمود عرفة رأيي هذا التحريف ، مع أنه لا يراد منه إلا توجيه هذه القراءات توجيهاً تظهر به الحاجة إليها في عهد النبوة ، ويقطع الطريق على من يزعم أنها حصلت بتحريف بعدها ، وإني بعد هذا لست أخالف الأستاذ عرفة في أن القرآن كان يؤخذ من النبي صلى الله عليه وسلم

بالتلقى ، ولـكن كثيراً ممن كان يتلقاه لم يكن يحفظه ، فإذا قرأه بعد التلقى فى مخطوط حصل له الاشتباه الذى ذكرته وقلت إن تلك القراءات نزلت لتيسير أمره . ولا شك أن التلقى بشر عرضة للسهو والنسيان ؛ وهذا هو غرضى من رأيى واضح لدى كل منصف

عبد المتعال الصعيدى

حول كتاب ديكارت للأستاذ عثمان أمين

لاحظت فى كتاب (ديكارت) للأستاذ عثمان أمين مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب فى الفصل الرابع (ص ١٤٠) المعنون « بالشك المنهجى » فقرات مأخوذة من كتاب (آراء غربية فى مسائل شرقية)[1] تعريب الأستاذ عمر فاخورى ، من الفصل الذى عنوانه : (الغزالى وديكارت) للكاتب الفرنسى شارل سومان (ص ٨٣) دون أن يشير الأستاذ الفاضل إلى هذا الكتاب سواء فى مجموعة المصادر التى ذكرها أو فى الحواشى التى أوردها وإليك نمطاً من الفقرات المتشابهة فى الكتابين :

يقول الأستاذ عثمان أمين فى الصفحة (١٤٠) من كتابه « ديكارت » : اختار ديكارت كما فعل الغزالى من قبل ، أقوى الأسلحة والحجج الجدلية التى جمعها الشكاك اليونان من عهد « سكستوس أمبريقوس » وسائر أنصار « پيرون » وادخروها فى معاقل المذهب الارتيابى ، وهى الأسلحة التى لجأ إليها « مُنتينى » صاحب « المقالات » المشهورة وبعده « شرّون » فى كتابه « الحكمة » (١٦٠٣)

وفى الصفحة ٨٩ من كتاب « آراء غربية فى مسائل شرقية » نجد الكلمات التالية « فإن الغزالى وديكارت كليهما اختارا أقوى الأسلحة الجدلية التى جمعتها البرونية الإغريقية من عهد سكسيوس وأونسيدام وادخرتها فى تكنات الشكوكية وهى الأسلحة التى ضرب بها مونتانى وقبله شارون فى مؤلفه (الحكمة) »

وهناك فقرة فى الصفحة (١٤١) من كتاب ديكارت تقول : « استبعد ديكارت شهادة الحواس لأنها تخدعنا أحياناً ، ومن الفطنة ألا نأمن أمناً تاماً لمن خدعنا مرة »

وترجمة الأستاذ عمر فاخورى تقول (ص ٨٧) ما يلى : « قال ديكارت لما كانت حواسنا تخدعنا وتخوننا أحياناً أردت نفسى على الاعتقاد بأن لا شىء فى حقيقته هو كما تخيله حواسنا ، وقال أيضاً : لقد ثبت لى أكثر من مرة أن هذه الحوادث خادعة فمن الرشد ألا تأمن أمناً تاماً لمن خانك وخدعك مرة »

وقد أخذ الأستاذ عثمان أمين كذلك مقارنة بين فقرة من كتاب المنقذ من الضلال للغزالى ، وفقرة من كتاب التأملات لديكارت وهما نفس الفقرتين اللتين أوردهما شارل سومان وترجمة الفقرة عن ديكارت هى نفس ترجمة الأستاذ فاخورى ، وقد وضع الأستاذ عثمان أمين كل ذلك فى حاشية (ص١٤٠) و(ص١٤١) . فلماذا أغفل الأستاذ اسم شارل سومان وعمر فاخورى من بين أسماء مراجعه ؟

« بغداد » **صفاء خلوصى**

(١) وهو كتاب بحجم صغير مطبوع فى مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٩٢٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)